

THE NEW HOUSE

BLADEFREGA



البيت الجديد

THE FAMILY · 10

ما إن تزوّجا حتى قرّرا أن يعيشا في كوزنسا.
فهناك كان مقرّ أبي الرسمي، وإليها كانت Gillette توجه كلّ مراسلات
الشركة وموادّها.
كانت أمّي تنتظر مولودها الأول.
في ستينيات القرن الماضي لم يكن أحد يعرف جنس المولود مسبقًا.
كانت الفحوص المتاحة تدخّلية ومحفوفة بالمخاطر، ولم يكن أحد مستعدًا
للمقامرة بطفل لم يولد بعد.
هاهاهاها.
وحلّ عيد الميلاد عام 1963.
وافقت Gillette على نقل أبي إلى ريجو كالابريا.
كانت أمّي سعيدة.
سيولد طفلها في المكان الذي تعرفه أكثر من أيّ مكان آخر.
مدينتها.
كانت هناك نكتة واحدة لا تكفّ عن التردّد في أروقة البيت:
«يا لها من مأساة لو نظروا في بطاقة هوية طفلي واكتشفوا أنه مولود في
كوزنسا. ماذا سيظنّ أقاربي؟»
هاهاهاها.
وجدا شقة لا تبعد عن بيت جدّي وجدّتي سوى مئتي متر.
كان الافتراض البديهي أنّ أمّي، ولم تتجاوز السابعة عشرة، ستحظى بسند
العائلة على مقربة منها.

ولعلّ أحدًا يستطيع أن يساعد في رعاية المولود عند الحاجة.
لكنّ الحياة قرّرت أن تلعب لعبةً أخرى.
كانت العلاقة بين الأمّ وابنتها متصدّعةً أصلًا.
كان أبوها يؤمن بأنّ التربية تُحلّ بالضرب.
ولم ينجح ذلك قطّ.
ولا مرّة واحدة.
وحتى حين حاولت أمّي لاحقًا أن تطبّق الطريقة نفسها على أولادها، جاءت
النتيجة مطابقة.
الفشل.
شابّة.
جميلة.
تخطف الأنظار.
وشيطانة بكلّ معنى الكلمة.
كانت قادرةً على ابتكار مئة فكرة قبل الفطور، وعلى تنفيذ مئة أخرى قبل
العشاء.
لكنها كانت أمّي.
وُلدت تيريزا، أختي، في يناير 1964.
بنت.
لم يهرع أيّ قريب للزيارة.
جاء معظمهم بعد أسابيع.
وكأنّ جنازةً قد أقيمت.

تلك كانت ثقافة مدينة في جنوب إيطاليا، كان يُعتقد فيها أنّ الموارد الحقيقية للمجتمع هم الرجال.

الذكور.

وسيحْتَاج المجتمع نفسه إلى ستين عامًا أخرى ليكتشف أنّ الواقع يسير على نحوٍ مختلف.

لعلّ أدبي هو الذي طرح الموضوع.

أمّا فهمه فمسألة أخرى.

حسنًا، بعد ثلاثة عشر شهرًا جئتُ أنا.

فبراير 1965.

وفجأةً ظهر المجوس الثلاثة من كوزنسا ومن كلّ القرى المحيطة بها.

احتفال.

لقد وصل الوريث الذكر.

سيستمرّ النسل.

كان أبي رجلًا مفعّمًا بالحيوية.

وفي السنوات الثماني التالية، كان يمكن بسهولة أن يأتي عشرة أطفال آخرون.

بدلًا من ذلك، توالى حالات الإجهاض، واحدةً تلو الأخرى.

كان أبي لا يحبّ الواقى الذكري، لأنه كان يزعم أنه يفقده توازنه.

أمّا أمّي ففضّلت طريقة أخرى.

كانت تستعمل بطاقة الائتمان.

وتكفّل الطبيب بحلّ المشكلة.

ذات عصر ذهبت أمّي إلى مصفّفة الشعر.

وكما يحدث دائماً في أماكن كهذه، جرى تبادل الأسرار.
ذكر أحدهم أنّ ابن صاحبة البيت على وشك الزواج، وأنهم يبحثون عن
مستأجر آخر ليحلّ محلّنا.
كانت أمّي بارعةً جدّاً في الرياضيات.
عادت إلى البيت، واتصلت بأبي، وألقت عليه معادلة بسيطة.
«في غضون سبعة أيام، اشترِ بيتاً جديداً. سنرحل.»
كان أبي لا يكسب سوى 750,000 ليرة في الشهر.
لكنّ أمّي كانت تملك متجرّاً للوازم الخياطة والملابس.
مكالمة هاتفية واحدة إلى جدّي لأبي، وإذا بالمال يظهر فجأة.
عرض السمسار العقاري على أبي شقةً على العظم، لم يكتمل تشطيبها.
كان المالكون يطلبون سبعة ملايين ليرة.
وكان في حساب أبي سبعة ملايين ليرة بالضبط.
لا تزيد ليرةً واحدة.
ولا تنقص ليرةً واحدة.
فاشتراها.
كانت في الشقة جدران داخلية.
لا شيء غير ذلك.
لا بناء مكتمل.
لا مرافق لائقة.
أرادت أمّي أن تقتله.
«أين بحقّ الجحيم يُفترض أن ننام، بلا أبواب ولا نوافذ ولا حمّام؟»
ضحك أبي.

«أنا فريغا.»

«بحلول مايو 1973 سنكون نسكن في البيت الجديد.»

في مارس 1973 وصل اثنان آخرا من آل فريغا.

توأمان.

بعد سنوات، كان أبي يقول:

«لكنني خرجت في الوقت المناسب. كيف بحقّ الجحيم دخلا؟»

وكنْتُ أرْدُ دائمًا بالجواب نفسه، فيما يضحك الجميع.

«المشكلة ليست أبدًا في الدخول يا بابا. هذا الجزء سهل.»

«المشكلة هي الخروج في الوقت المناسب.»

«ربما توقّيتك مختلّ.»

«ساعة Bulova خاصّتك تتأخّر بضع ثوانٍ.»

هاهاهاها.

لم يقترض قطّ من مصرف.

لا رهن عقاري.

لا قروض.

كان الأصدقاء ومن يعرفونه هم من يُقرضونه.

ولم يُخلف وعده قطّ.

في 30 مايو 1973 انتقلنا إلى البيت.

تولّيتُ أنا وأبي وحدنا معظم أعمال النقل.

بعد يومين من حمل الأثاث، وكنْتُ في الثامنة من عمري، جررتُ وحدي

غسّالة صعدًا ثلاثة طوابق حتى داخل الشقة.

أخيرًا صرنا في بيتنا.

لن يطردنا أحد أبدًا.
على الأقل، هكذا كانت النظرية.
بعد سنوات مات والداي، وتمكّن أحد إخوتي من الاستيلاء على كلّ شيء.
لكن تلك حكاية أخرى.
وداعًا يا بابا.

فرديناندو فريغا
 Gillette Man